رواية

شمس غاربة

تأليف – نوال مهنى

الإهـــــداء

إلى الغافلين عن منابع السعادة وهى بين أيديهم ، العابثين بحدائق العمر فيدهسون الأزهار ولا بجنون غير الشوك ، عسى أن يفيقون من غفلتهم وأن يكفوا عن عبثهم قبل فوات الأوان

المؤلفة،

نوال مهنى روائية

محمد جبريل

هذه الرواية ، هي المحالوة الاوى لنوال مهنى ، سبقتها ايداعات متفوقة في القصيدة الشعرية أثمرت العديد من الدواوين التي حظيت باهتمام نقدي لافت. قد لا تبين الرواية عن التفوق نفسه الذي تحقق في قصائد الفنانة ، فقوامها بعض مشكلاتنا المجتمعية من خلال حكى لا يخلو من تقريرية وجهارة .

ما يعطى لهذا الرواية قيمة مهمة ، وحقيقية ، تحرك شخصياتها واحداثها في اطار علم الاجتماع الادبي ، انت تتعرف فيها الى المشهد البانورامي للكثير من معتقدات المجتمع المصري وعاداته وتقاليده ، دورة الحياة من الميلاد الى الموت ، محورها عليه الخيرة اطلاقا ، وحازم الشرير الا حين يعود الى نفسه في النهاية ، يتزوجان تكتشف ان الشاب الذي تصورته حظها السعيد ، يضمر نفسا شريرة ، عابثة . اهمل ملاحظة الخيوط المأساوية القاسية حولها ، وتعاظمت ، حتى ماتت هي وطفلتها .

بانوراما المشهد البانورامي اجادت التقاط التفاصيل والجزيئات والمنمنمات ، اعتز بالجهد الذي بذلته في كتابي " مصر في قصص كتابها المعاصرين

"، حاولت ان اتعرف . من خلاله . الى الشخصية المصرية في ابعادها المختلفة ، ظني ان رواية نوال مهنى تهبنا قيم الحياة في بيئة تشحب ، او تغيب في اعمالنا الابداعية ، هي بيئة تنتمي الى المجتمع المصري ، لكن اهتمام المبدعين يتجه . في الاغلب . الى بيئات اخرى سبق تناولها بتكرار اخشى انه بلغ حد الملل ، في كتابي " مصر ..." كنت اعاني وفرة المصادر في الملمح الواحد ، السلفية لا تقتصر على اجتهاداتنا الفكرية والتاريخية ، العدد الكثير من المرات ، ثمة من كتب عن ظاهرة ما ،فلماذا لا يكتب عن الظاهرة نفسها ، وبالتناول ذاته ، وبوجه النظر الشابهة ، مبدعون آخرون .

دورة الحياة في رواية نوال مهنى ، تناولها روائيون وكتاب قصة لكن البيئة المغايرة فرضت تناولا مختلفا ، يجعل من قراءة هذه الرواية متعة حقيقية .

أحتجبت الشمس وغطى السحاب الكثيف صفحة الأفق ، كان يوما شتائيا باردا حينما قرر حازم أن يصحب إخوته وذويه إلى قرية العلوية المجاورة لقريته لمقابلة العمدة . حاول الأهل إرجاء الموعد ليوم آخر يكون مشمسا خوفا من تقلبات الطقس المحتملة ، غير أنه أصر على الالتزام بالموعد المتفق عليه ، فركب الجميع خيولهم وحملوا مظلاتهم الصغيرة تحسبا لنزول المطر . ما كاد الطريق ينتصف حتى عصفت الريح ولاح البرق ودوى الرعد وتتابعت زخات المطر ، أحتمى الراكبون بمظلاتهم وأسرعوا فى السير ، لكن إنهمار الغيث جعل الطريق الترابى موحلا مما زاد من عناء الرحلة وصعوبتها .

-٢-

لم يكن بيت العمدة فخم البناء وثير الفراش بل هو بيت ريفى بسيط متسع ، جدرانه من الطوب اللبن وسقوفه من الأخشاب وأهم جزء فيه المندرة ، وهى قاعة كبيرة فرشت بالكليم وبها عدد من الدكك والمساند وفى وسطها منضدة كبيرة مستطيلة ولها بابان أحدهما خارجى ويفتح على الصالة الكبرى المؤدية للشارع والآخر داخلى وهو مغلق أغلب الوقت ولا يفتح إلا عند دخول التحية من المأكولات والمشروبات للضيوف ، وباقى المنزل عبارة عن صالات وحجرات مختلفة المساحة خصص بعضها للمعيشة وبعضها للخزين ، أما الحجرات الخلفية فهى مخصصة للمطبخ وأفران الخبيز وفى الطابق الثانى ، توجد حجرات النوم . وعمدة القرية السيد همام رجل وقور وكريم ولذا فهو يتمتع بحب أهل قريته ويبذل لهم من ماله وهو وطنى يعلق صور مصطفى كامل وسعد زغلول وعرابى فى صدر المندرة . ولا يخلو بيته من الضيوف مطلقا ، وخاصة فى فترات الأنتخابات حيث تأتى الوفود أفواجا فيحتفل بهم ويقيم لهم الولائم ، وكان بيته أشبه بالمحكمة فبعد صلاة العشاء يجتمع مشاريخ القرية وأعيانها مع العمدة وينظرون فى مشكلات أهل البلدة ويستمعون إلى شكاياهم ويتشاورون فى حلها ، وتزدحم المندرة والفناء الخارجى بأهل القرية وعادة ما تكون الخلافات على الميراث ومساقى المياه والعجز عن سداد الدين وأحيانا تنتج الخلافات بسبب الخصومة بين عائلتين أو المشاكل الأسرية من زواج وطلاق وحضانة .

وهذه المحكمة العرفية احكامها ملزمة للجميع ،فالعرف فى القرية له قوة القانون الرسمى ، وفى ذلك الزمان كان الناس يرضون بحكم كبراء البلد ويحترمون رأيهم ، فتقدير الكبار واجب لا يحيدون عنه . وكل عائلة لها

كبير مسئول عن تنفيذ الأحكام الصادرة بشأنها ومكلف بما يستحق عليها من إلتزامات وتعهدات أمام المحكمة العرفية .
وفى الأمسيات التى تخلو من المشاكل يجلس العمدة وحوله اصدقائه من الأزهريين وأعيان القرية فى المندرة ، ويجتمع أهل القرية فى الصالة والفناء الخارجى يستمعون إلى الراديو ذى البطارية الموضوع فى شباك المندرة كى يسمعه كل من يمر بالشارع ، فيصغون إلى نشرة الأخبار وقراءة القرآن الكريم والقرويون يحفظون جيداً أسم الشيخ القارئ لكل يوم من أيام الاسبوع ويتسابقون للإعلان عن أسمه فيقول : أحدهم النهاردة سوف يقرء الشيخ فلان فيرد الآخر مؤكدا قوله . ربما كان راديو العمدة هو الوحيد فى القرية ولذا فهو النافذة التى تطل منها القرية على العالم الخارجى ، وهو الوسيلة الوحيدة لمعرفة أخبار الدنيا ، فالجرائد لا تصل إلى القرية إلا فى حالة واحدة عندما يذهب أحدهم إلى البندر لأمر هام . ونادرا ما يحدث ذلك – فيعود ومعه عدد من الصحف الصادرة فى ذات اليوم ، فيجلس بعض ممن يجيدون القراءة على المصطبة ويقرء الجرائد بصوت مرتفع ويتجمهر حوله الرجال والصبيان لمعرفة الاخبار ثم يتناقلونها فيما بينهم ويقصونها على زوجاتهم وأبنائهم فتصبح مادة للحديث بين أهل القرية ، ثم تبدأ السهرة فيتحول البيت إلى منتدى ثقافى تذكر فيه القصص والنوادر والطرائف والاشعار والمواعظ وأخبار الملوك والخلفاء . لذا أعتاد الناس الجلوس فى الشارع لمن لا يتسع له المكان فى المندرة أو الصالة فتمتلأ الساحة الفسيحة التى تحيط ب بالمنزل بالبشر لمتابعة ما يدور داخل المندرة ، وتستمر السهرة وينام أهل المنزل جميعا عدا العمدة وبعض الخدم وعليه إبنة العمدة الكبرى التى تجلس وراء الباب الداخلى للمندرة وقد أفترشت سجادة صغيرة وتصغى بإهتمام لكل ما يقال حتى تكاد تحفظه وهى شديدة الاستيعاب للشعر خاصة . والأم تعرف ميول إبنتها فلا تكلفها بما تكلف به شقيقاتها من أعمال المنزل ، غير أن عليّه – رغم ذلك – تفوقت فى صناعة أصناف معينه من الحلوى مثل فطائر الروانى ولقمة القاضى وسد الحنك والألماظية . وقد أعتاد أخواتها التندر عليها بقولهم : أعدى نفسك غداً لصناعة سد الحنك ونحن مستعدون لمساعدتك .

- ٣ -

أوشك الظلام أن يعم ويلف القرية بحلوله فأضيئت الفوانيس وعلقت داخل البيت وأمامه فرغ العمدة من صلاة المغرب وإتخذ مجلسه فى المندرة وقد

أطرق مفكرا فيما عرض من مشاكل فى الليلة الماضية وما أقترح من حلول وإذا بالخادم يدخل مسرعا معلنا أن ضيوفا بالخارج يأذنون فى الدخول ، فيخرج العمدة لإستقبالهم والترحيب بهم ، بينما يودع الخادم دوابهم فى دوار الماشية .تتساءل النسوة فى الداخل عن القادمين ويدفع الفضول بعضهن دفعا لمعرفة ما يدور فى المندرة بين العمدة وضيوفه ، فيلجأن إلى التحايل على الخدم ورشوتهم لنقل الأخبار إليهن فيعرفن أن حازما قد جاء بصحبة أهله لخطبة عليّه ، فتطرق عليّه برأسها وتنهض مسرعة متجهة إلى حجرتها وقد غطت وجهها الابيض حمرة الخجل ، فتتبعها أمها وشقيقاتها وتلح الام على إبنتها أن تقبل الخطبة بعد أن ظلت ترفض المتقدمين لها بحجج واهية . مع أن شقيقاتها اللاتى يصغرنها قد تمت خطبتهن ومن المعتاد أن تتزوج الفتيات قبل أن يبلغن السادسة عشرة من عمرهن وقد تخطتت هى هذه السن ويجب أن تتزوج وخاصة أن أباها يرفض تزويج شقيقتيها الأصغر عائشة وفاطمة قبل زواجها رغم موافقته على مضض على خطبتهما بعد الحاح الأم . ولكنه علق إتمام الزواج لحين زواج الأبنة الكبرى . تقف الأم فى مواجهة عليّه وتسأل فى عبارات محددة – ماذا تريدين بالضبط وما الذى يمنعك من الزواج ؟

- لا أجد من أرتضيه .

- أكل هولاء لا يعجبونك ؟

ـ هل نحضر لك عريسا من السماء ؟

ـ لم أقل هذا ولكن ما الداعى للعجلة . ربما يأتى من ينا سبنى فلننتظر .

- ياإبنتى العمر يجرى والبنات مثل الزهور تذبل سريعا وأخشى يفوتك القطار ثم ما ذنب عائشة وفاطمة ؟

وهل أنا الذى يرفض تزويجهما ؟

- أعرف أن أباك هو الذى يرفض لأن زواجهما قبلك يسيئ إليك ، ثم أن حازما عريس ممتاز ومناسب لك . تومئ عليّه برأسها علامة القبول بينما الاختان تنظران إليها وهما تشعران بأن الام قد إنتزعت موافقتها أنتزاعا . تخرج الام وتحاول الأختان تشجيعها على قبول العريس وإقناعها بأنه شاب وسيم كريم ثرى ومن عائلة معروفة ومن الخطأ أن ترفضه وتضيع هذه الفرصة ، بينما عليّه صامته فهى تعرف جيدا أن من الواجب زواجها أولا لأنها الكبرى طبقا للتقاليد المتبعة والعرف السائد .

تمضى الساعات والرجال يتحدثون بصوت مرتفع فى الخارج والنساء يتحدثن بصوت منخفض فى الداخل ، بينما الخدم يروحون ويجيئون وهم يحملون صوانى الشاى والقهوة والقرفة والتسالى . فجأة ينفرج باب المندرة الداخلى ويدخل العمدة مرتديا عباءته وطربوشه وفى يده مسبحه وينادى على زوجته قائلا – ياست أم أمين فتخف السيدة لأستقباله – نعم ياعمدة يقف العمدة أمام حجرة عليّه متعمدا ويقول بصوت مسموع كمن يريد أن يعلمها .

- حازم واهاه جاءوا لخطبة عليّه وانا أرى أنه مناسب ، وقبل أن أعطى وعدا للرجال لن أرجع فيه أريد معرفة رأيكن . فتجيب الأم وهى تنظر إلى إبنتها .

- على خيرة الله وبالتوفيق إن شاء الله. بينما عليّه تلتزم الصمت ولا تجد سببا للرفض فيعلق العمدة . السكوت علامة الرضا - ثم يستدير عائدا إلى المندرة ليعلم ضيوفه بالموافقة . إنصرف الضيوف بعد قراءة الفاتحة وقام العمدة وأقاربه بتوديعهم والسير معهم حتى نهاية الشارع . أقبلت الفتيات على عليّه يعابسنها ويداعبنها وأقبلت النسوة بالتهنئة على الأم التى بدت سعيدة بخطبة أبنتها الكبرى التى ظلت ترفض الراغبين فى الزواج منها مع أنها حلم شباب القرية ، فهى جميلة ذات بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر ذهبى ناعم أما قامتها فليست بالطويلة أو القصيرة إضافة إلى رقتها ولطف حديثها ، وقد حفظت أجزاء من القرآن الكريم فى كتاب القرية وكانت أسرع أخوتها حفظا وأكثرهم حبا فى العلم ، وعندما شبت عن الطوق أحضر لها أبوها أحد أساتذة اللغة العربية لتعليمها بالمنزل فداومت على إستذكار الدروس وحفظ الشعر وقراءة القصص والتا ريخ .ولم يكن بين المتقدمين لخطبتها من يشاركها هذه الاهتمامات أو يهتم بمثل هذه الأمور أو يقدر تلك المواهب ولذا لم تجد من بين هولاء الشبان من يروق لها أو تشعر أنه جدير بها ومن ثم كان رفضها للمتقدمين لخطبتها ، بيد أن هذه الأسباب لم تكن مقنعه للرفض فى نظر العائلة التى لها معايير أخرى فى الاختيار .

زوجة العمدة التى تلقب بالسيدة ماهرة فى إدارة المنزل وإعداد الولائم ، ذات باع طويل فى الطهى ، وهى تتابع وتشرف بنفسها على كل شيئ من إعداد الخبز إلى ذبح الشاة والطيور وعمل الفطائر والرقاق الذى يقدم فى صوانى نحاسية مستديرة كبيرة إلى جانب اللحوم والأرز وأصناف الخضار ثم عمل الشاى والقهوة مرات عديدة للضيوف الذين لا يخلو منهم بيت العمدة . مما جعل السيدة فى حركة دائبة طوال اليوم بين الطابقين الأول والثانى من هذا المنزل المتسع ، وإشتهرت السيدة بالحكمة والفراسة وقوة الشخصية والتمسك بالاصول . وكانت تجيد تحضير بعض الوصفات الطبية كالمراهم والغسول المطهر للعيون وعمل الكمادات وكاسات الهواء الشهيرة، ولذا أعتادت الفلاحات أن يحملن أطفالهن إليها للعلاج والإسعاف السريع ، فلا يكاد يمر يوم دون أن يأتى من يشكو من ألم أو وجع طالبا للعلاج من السيدة ، داعيا لها بالصحة والستر والبركة ، فالقرية نائية ولا يوجد بها أطباء أو وحدات صحية فى ذلك الوقت ، بعد يوم مجهد حافل بالعمل تململت السيدة فى فراشها وهى تحدث نفسها – لابد من الذهاب للمدينة فى أقرب فرصة متاحة ، لقد نفذت كل الادوية والاسعافات التى أعددتها ، ولا أستطيع أن أرد مريضا أستعان بى بعد الله سبحانه وتعالى وهو الشافى المعافى . فقد أعتادت السيدة حينما تجد فرصة للسفر إلى البندر أن تتجه إلى العطار ثم إلى الصيدلية كى تبتاع الزيوت والأعشاب والأدوية والمراهم وتحملها معها إلى بيها وبكميات كبيرة وتقوم بإعداد وتحضير ما يحتاج إلى ذلك وتقديمه لمن يحتاج . وهى تقوم بهذا العمل حبا فى الخير ورغبة فى مساعدة الناس وتخفيف الآمهم . ويبدو أنها سمعت بهذه الوصفات من كتب الطب القديمة ثم أتقنتها بالتجربة .

-٦-

بعد أيام من الخطبة حضرت أم حازم لزيارة بيت العروس ، حاملة معها الهدايا فأحسنت السيدة إستقبالها وعهدت إلى بناتها بإعداد طعام الغداء حتى تتفرغ للأحتفاء بضيفتها وجلستا تتحادثان والفرحة تعلو وجهيهما . عندما حان موعد الغداء ، دخلت عليّه وسلمت على الضيفة وأخبرت أمها بأن الطعام جاهز اعجبت أم حازم بعليّه وأثنت على جمالها وأدبها فتبادر الأم قائلة : وكمان طاهية ماهرة سوف تذوقين الطعام وتحكمين بنفسك .
- طبعا بنت الشاطرة شاطرة سلمت يداها .

- هيّا بسرعة أحضرى الغداء حتى ترى حماتك وتطمن على زوجة أبنها وتعرف حلاوة نَفَسِك فى الطعام وطريقة طهيك . فى غرفة واسعة مفروشة بالبساط العربى وتحاط جدرانها بالطنافس والوسائد إلتف الحاضرون من سيدات العائلة حول الطبلية الكبيرة الحافلة بأنواع الطعام ، وجلست عليّه عن يمين الضيفة والأم عن يسارها حتى تتمكنا من مجاملتها وتقريب الأصناف إليها ولم يفت الأم أن تمدح طريقة أبنتها فى الطهى زاعمة أنها أعدت الوليمة بمفردها . بينما النساء اللواتى يخدمن فى بيت العمدة وقفن على مقربة لتلبية الطلبات ، أشارت السيدة إليهن فأسرعن بإحضار الحلواء من الروانى والالماظية ولقمة القاضى التى أعدتها عليّه وتجيد صناعتها . بدت أم حازم شديدة الإعجاب كثيرة الثناء على عليّه وأهل البيت جميعا ، فالعروس جميلة ، بنت أصول والبيت مشهور بالعز والكرم على حد قولها . وتم الاتفاق على إتمام الزواج بعد موسم جنى القطن ، إذ أن محصول القطن هو مصدر الدخل الرئيسى لأهل القرى المصرية كما هو المحصول الرئيسى والمصدر الاساسى للدخل القومى للدولة . ومن المعتاد أن يحضر التجار إلى القرية قبيل جني المحصول للإتفاق على شراء قناطير القطن وسعر القنطار من أصحاب المزارع ، وأعطائهم جزء من المبلغ كعربون لحجز المحصول ويدفعون إليهم بأكياس كبيرة من الخيش لكبس القطن بداخلها . أمّا الفلاحون البسطاء الذين لا يملكون أرضا فهم يستعدون لموسم جنى القطن كعمل موسمى فيدفعون بأبنائهم وبناتهم للعمل فى الحقل وربما يقبضون جزءً من الاجر مقدماً . ومن عادات القرى أن يكون أجر الرجل أو الفتى أكبر من أجر المرأة أو الفتاة ويتستثنى من ذلك جنى القطن ، حيث يحسب الاجر بناء على كمية القطن التى جمعت ، ففى نهاية اليوم يقوم المشرف أو مقاول الانفار – كما يسمونه – بوزن كميات القطن على ميزان كبير ويحسب الأجر طبقا لعدد الأرطال وقد يحدد سعر الرطل بقرش أو قرشين فالفلاح أو الفلاحة يستحق خمسون قرشا أو مائه قرش عن خمسين رطلا قام بجمعها طوال اليوم تحت حرارة الشمس وصعوبة العمل والحركة بين أعواد الحطب ، وبعد الانتهاء من جمع المحصول وبيعه يبدأ أهل القرية فى تحقيق بعض مطالبهم فمن يبنى بيته ومن ينوى الحج فيدخر المال حتى يحين الموعد ومن يشترى الاثاث ومن يشترى أرضا جديدة ومن يذهب إلى البندر لشراء الملابس والحلى لآل بيته ، غير أن أهم الظواهر هى إقامة الأعراس ، فمعظم زيجات القرية تتم عقب محصول القطن ، فلا يكاد يمر يوم إلا ويقام عرس أو أكثر فى القرية . بدا حازم سعيدا بقرب موعد زفافه إلى عليّه وخاصة أن محصول هذا العام جاء

وفيرا وسعره مرتفع فعاد عليه بالخير الكثير ، وباتت الأحلام تتراقص أمام عينيه وقد أوشكت أمنياته فى الزواج من عليّه أن تتحقق.

-٧-

بدأت الاستعدادات لتجهيز العروس وحياكت الثياب فأحضرت الخياطة من البندر إلى بيت العمدة ومكثت أسبوعين كاملين ، وكلما أعدت ثوبا أرتدته العروس فتثنى الحاضرات على جمالها وقوامها ويمتدحن الخياطه وتنطلق الزغاريد . وكثيرا ماتصحب الخياطة العروس إلى البندر لشراء ما يلزم من أشياء صغيرة ثم تعودان فى نهاية اليوم ، أما المصاغ فلابد من حضور رجال الاسرتين ويتفق عليه مسبقا ، وهو يخضع للمستوى الاجتماعى لاسرتى العروسين ، فإما أن يكون قطعتين أى عقد (كردان) وحلق (قرط) والحلق يعتبر قطعة واحدة ، أو يكون عقد وحلق وخلخال أى ثلاث قطع أو يضاف سوار إلى السابق فيصير أربعة قطع . ويتحدد الوزن وعما إذا كان الخلخال من الذهب أو الفضة طبقا للحالة المالية للعريس فهو المكلف بدفع ثمن المصاغ كله . رفضت عليّه لبس الخلخال المفضل لدى الفلاحات وكان البديل سوارين من الذهب بدلا من سوار واحد ، ثم جاءت هدية الاب عبارة عن خاتمين ثمينين أضيفا إلى المصاغ .

-٨-

أسابيع قليلة مرة أعد حازم خلالها بيت الزوجية بأثاث متواضع ثم ذهب لبيت العمدة لتحديد موعد نهائى ليوم الزفاف وعقد القرآن ، وبعد أن تم الاتفاق إذا بصوت طلق نارى يعقبه صراخ ونحيب ، خرج العمدة ومن معه لإستطلاع الامر حيث تبين أن خلافا نشأ بين عائلتين بسبب النزاع على حدود الأرض الزراعية ومساقى المياة ، وتحول النزاع إلى معركة أسفرت عن قتيل من أحدى العائلتين ومصاب من أخرى ، وتحولت القرية إلى مأتم كبير ، وتحولت دار العمدة إلى ساحة للأمن والطب الشرعى والتحقيقات ، وتأجل زواج عليّه وإنتابها إحساس بأن ذلك فأل سيئ ونذير شؤم وباحت لأمها بمخاوفها وشعورها بأن هذه الزيجة لن تكون موفقة .

ربتت الأم على كتفها مطمئنه إياها زاعمة أن ذلك يحدث كثيرا ولا داعى لتشاؤمها ، ونصحتها أن تستعيذ بالله من وسواس الشيطان الرجيم . تذكرت عليّه ما قالته لها العرافة ذات يوم تلك المرأة التى تجوب القرية بين الحين والاخر حاملة على رأسها قفة صغيرة مليئة بالتمائم والاحجار الصغيرة الاثرية والزواحف المحنطة وتدعى أنها تبطل السحر وتفك الأعمال وتساعد على زواج البنات ، ورغم أن عليّه المؤمنة المثقفة لا تؤمن بذلك إلا أن الغرقان يتعلق فى قشة كما يقول المثل السائر ، فإذا بها تنظر من النافذة وتشير للعرافة بالدخول وبعد أن تنظر العرافة فى عينيها وتتحسس يدها وتوشوش المحار وتقلب الاحجار وتقرء التعاويذتخبرها بأن زواجها قريب من رجل غريب وإنها مطلوبة ومرغوبة ومن الجميع محبوبة . ولكن طريقها ملئ بالعثرات . لقد نسيت عليّه كل ما قالته العرافة إلا هذه الجملة الأخيرة التى حفرت فى ذاكرتها حفرا.

-٩-

أربعين يوما قضاها رجال الامن فى القرية خشية أن يثأر أهل القتيل لقتيلهم من الخصوم ، كانت عبئا ثقيلا على الجميع فهم يتدخلون فى شئون الناس ويعطلون أعمالهم ويستفزونهم بعنفهم وهمجيتهم ويقومون بحملات تفتيشية ليلية للبحث عن السلاح غير المرخص فى المنازل بطريق عشوائية فيها إهانة للبعض مما جعل خفراء القرية يتظاهرون بالتعاون مع الامن لكنهم فى الواقع يناصرون أبناء قريتهم ضد رجال الأمن الغرباء ، فكانوا يتفقون مع أهل القرية على أسلوب معين لتحاشى الصدام مع رجال الشرطة وينصحونهم بإخفاء السلاح فى أماكن معينة لا يصل إليها رجال الأمن ، بل أن شيخ الخفر نفسه صار يتعمد تضليلهم تضامنا مع أهل قريته فكان يخفى السلاح فى بيته ويقوم بتهريب . المطلوبين إذا كانوا أبرياء أما المذنبين بالفعل فكان ينصحهم بتسليم أنفسهم . وكان على العمدة أن يطعم العشرات من رجال الشرطه ثلاث وجبات يوميا وإعداد مكان لمبيتهم لمدة أربعين يوما مما جعل زوجته وبناته وكل من يعمل فى بيته يضيقون بهذا العبء ويدعون عليهم وعلى من كان سببا فى مجيئهم للقرية ، حتى أن أمين ابن العمدة راح ينقم على العمدية الى أستنزفت أموالهم وأرهقتهم بمسئولياتها وأعبائها ولم يجنوا من ورائها سوى التعب والهموم ، ولذا لم يفكر أبدا فى الترشيح للعمدية بعد وفاة والدة رغم الحاح الاهل عليه وخصوصا أمه السيدة أم أمين .

-١٠-

إنصرفت قوات الأمن من القرية وتم تحديد موعد جديد لعقد القرآن والزفاف ، وأنشغلت أم أمين فى صناعة الكعك والفطائر التى ستبعث بها مع لوازم العروس إلى بيت الزوجية . وجاء يوم الزفاف ، وقفت عليّه وسط شقيقاتها وقريباتها يساعدنها فى إتمام زينتها وإرتداء فستانها ، وجاءت الأم وأنتحت بها جانبا كى تذودها بالوصايا التى تعينها فى حياتها الجديدة .
- عليك ياأبنتى أن تصغى إلى زوجك إذا تحدث ، وأن تتجنبى ما يغضبه ، وأن تحسنى إلى أهله ، وأن تكونى مطيعة صبورة خفيضة الصوت وأن تعاملى أمه كأمك ، فدعاءها لك خير وبركة وخاصة بعد وفاة زوجها وأصبحت وحيدة . وعليك ألا تكثرى من الشكوى ولا تبوحى بأسرار بيتك وزوجك لأحد وأن تحافظى على نظافة منزلك والاهتمام بمظهرك ز كانت الأم توصى أبنتها فى حنان وتربط على كتفها فى مودة بينما عليّه تومئ برأسها علامة الطاعة والموافقة وهى تصغى بأهتمام شديد .

-١١-

ثلاث ليالى هامة خاصة بالعرس لا ينساها القرويون مطلقا ويعدونها أهم أحداث حياتهم وأحلى ذكرياتهم ، أولها ليلة الحناء وهى الليلة السابقة لليلة الزفاف وتبدأ الاحتفالات بعد الغروب حيث يجتمع أقارب العريس وأصحابه فى بيته وأقارب العروس وصديقاتها فى بيتها ويستمر الحفل لوقت متأخر من الليل ويسود المرح والغناء والزغاريد والحديث ويستمر السمر إلى قرب طلوع الفجر وقد يبيت بعض المقربين وخاصة القادمين من السفر فى بيت العروس أو العريس . ويدور الحديث غالبا عن برنامج الفرح والجهاز والفرجة على ملابس العروس ومصاغها بين الكبار تاركين الرقص والغناء للشباب ، ويستمر تقديم الحلوى والشربات والمشروبات الاخرى طوال الليل ثم تعجن الحناء وتوضع فى اليدين والقدمين لكل من العريس والعروس كل فى بيته وبين ذويه وأصدقائه ، وعادة تقوم بعجن الحناء ووضعها سيدة لها خبرة خاصة ، ويهتم الاطفال من الجنسين بوضع الحناء فى أيديهم تشبها بالعريس والعروس ويتباهون بها كلما كانت ذات لون أحمر قانى أو رسومات جميلة . أما الليلة الثانية فهى ليلة الزفاف ويسبقها أثناء النهار عقد القران ثم تقديم الطعام بعد ذلك يبدء الاحتفال إلى

أن تصل العروس إلى بيت الزوجية ويستمر الفرح لفترة من الليل ثم ينصرفالمهنئون. وفى "الصباحية " تأتى الزيارة الاولى من أهل العروس إلى إبنتهم وهى طعام الافطار للعروسين وأهل البيت جميعا ، ومعنى ذلك أن أم العروس وشقيقاتها ومعهن بعض الاقارب والجيران يسهرن طوال الليل بعد إنصراف العرس فى عمل الفطائر المطبقة التى يتساوى فيها الزبد والطحين بكميات كبيرة وتجهيز كميات كبيرة من الجبن والعسل والبيض المسلوق إضافة إلى حلة كبيرة مملؤة بالارز المطهى باللبن والمحلى بالسكر ، ويرسل كل ذلك فى الصباح الباكر إلى بيت العريس ليكون ساخنا طازجا بعد عزل كمية لإفطار أهل البيت والمقربين إليهم من الاهل . أمّا الليلة الثالثة . فهى ليلة الصلح وهى ثالث ليلة للزفاف ، وفيها يدعو العريس أهله وأصهاره وخاصة الكبار منهم مثل الأب والأعمام والأخوال إضافة إلى الأشقاء وبعض الأعيان ، فتذبح الشاة وتعد الوليمة وعادة ما تكون "عزومة الصلحة " كما يسمونها على وجبة العشاء . وينزل العريس من الطابق الثانى إلى الطابق الأرضى . لأول مرة بعد الزفاف – لمقابلة ضيوفه والترحيب بهم فيقبّل أيادى الكبار ، وبعد الانتهاء من العشاء يحضر أبريق الماء ومعه الإناء الخاص به ((الطشت) ومعه قطعة من الصابون المعطر ، ويمسك العريس بالأبريق والفوطة ويقوم بصب الماء حتى يغسل جميع الكبار أيديهم وسط تندر الشباب وغمزاتهم له خلسة من أعين الكبار . ومغزى هذا التقليد أن الشاب رغم أنه تزوج وأصبح رجلا مسئولا إلا أنه مازال الأبن المطيع الذى يحترم الكبار ويشرف بخدمتهم . أمّا العروس فلا تقابل رجال العائلتين وخاصة الكبار منهم إلا بعد مرور سبعة أيام كاملة .

-١٢-

ذبحت الخراف وأقيمت الولائم فى القريتين بعد عقد القران ، وجاء أهل حازم لإصطحاب العروس التى بدت فى ثياب العرس كأميرة من أميرات ألف ليلة وليلة ، هبطت من الطابق العلوى فوق السلم الحجرى المتسع بفستانها الأبيض الفضى الذى تتصل به من الخلف طرحه طويلة من الدانتيل وقد قسمت شعرها الذهبى الطويل إلى قسمين وضفرتهما بشرائط من الستان اللامع تتدلى منه حبات اللؤلؤ وتحوطها الفتيات يمسكن بأطراف الطرحة أو يرفعن ذيل الفستان الطويل حتى لا تتعثر خطواتها . ما أن وصلت إلى الفناء الخارجى حتى لأخذ أخوها بيدها ورفعها فركبت حصانا ابيض اللون عليه سرج أحمر من القطيفة المضلعة المزركشة بالخيوط

الذهبية ، وركب أمامها طفل صغير جميل يرتدى جلبابا أبيض وطربوشا أحمر حتى تنجب الذكور حسب أعتقادهم . سار الركب من منزل العمدة بقرية العلوية حتى منزل حازم بقرية البرج ، يتقدمه الفرسان وهم يرقصون بخيولهم ، بين الحين والآخر يتوقف الموكب ويرقص الفتيان بالعصى بينما الفتيات يصفقن ويزغردن على ضربات الدفوف ، قبيل الغروب وصل الموكب إلى بيت العريس ووقفت العروس وبدأ إستعراض الرقص والغناء وإطلاق النار فى الساحة الكبيرة المواجهة للبيت ، وخرجت أم حازم لترش الملح وتقرء المعوذتين وتطلق البخور لتحصين العروس ضد الحسد ، ثم نزلت العروس من فوق الحصان بمساعدة شقيقها الذى أمسك بيدها وسار بها وخلفها شقيقاتها وصويحباتها إلى داخل المنزل . هبط حازم من الدور العلوى مستقبلا عروسه على أولى درجات السلم فحملها بين زراعيه وصعد بها إلى أعلى حيث عش الزوجية .

-١٣-

مرت الشهور الأولى للزواج كأنها حلم جميل فحازم وأهلة فرحون بعليّه التى تسكن جزءً من بيت العائلة الكبيرة الذى يقيم فيه إخوة زوجها وزوجاتهم وأطفالهم ، ورغم أن لكل أسرة قسما مستقلا وعيشة مستقلة إلا أن هناك جزء مشترك فى المنزل يجعل المقيمين فيه دائمى الاحتكاك وأطفالهم دائمى اللعب والشجار وكثيرا ما تنشأ المضايقات والخلافات بين زوجات الأخوة ، غير أن عليّه دائما لطيفة ودودة تعاملهم بحب وتحنو على أطفالهم وتتجاوز عن الإساءت وتعلو فوق التفاهات وهى أيضا شديدة العطف على أم حازم ترعاها إذا مرضت وتعرض عليها خدماتها وتصغى لمشورتها وتجعل لها نصيبا مفروضا من كل ما تصنه من طعام أو شراب ولم يعرف عن عليّه أنها أساءت إلى أحد أو أغضبت أحداً بسبب صبرها وتسامها وقبول أعذار من أساء إليها أو إلى أطفالها . لاحظت عليّه منذ البداية أن زوجها حاد الطباع عصبى المزاج ، سريع الغضب ، لكنها أحتوت غضبه وعصبيته وحدته فهى بطبعها صبورة هادئه ، ولكن يبدو أنه أعتبر صبرها عليه ضعفاً منها وقلة حيلة فتمادى فى ذلك وصار يعاملها بغلظة وينتقدها فى كل صغيرة وكبيرة وخاصة بعد أن أنجبت طفلتين فى الأعوام الأولى للزواج فراح يتهمها بالتقصير فى حقه حينا ويعيرها بإنجاب البنات حينا أخر ويفتعل المشكلات إفتعالا . حاولت عليّه أن تقوم بواجباتها من إرضاء زوجها إلى رعاية أطفالها وتحمل مسئوليات بيتها

قدر إستطاعتها . لكن حازم كان دائم التذمر لإنشغالها عنه ولما ولما كانت مترفة فى بيت أبيها لم تحتمل هذا الجهد البدنى العنيف والضغط النفسى الشديد فبدت حزينة كئيبة وفارقت الإبسامة شفتيها وكأن البهجة غادرتها إلى غير رجعة . أخيرا أنجبت الولد بعد شهور حمل مؤلمة ، وولادة متعسرة كادت تودى بحياتها وتصورت أن زوجها سوف يغير من معاملته معها ومن نظرته إليها . وما كادت تفيق من متاعب الوضع حتى مرضت أبنتها الكبرى علا فعكفت على خدمتها والسهر إلى جوارها ، ثم توفيت الطفلة فحزنت عليها حزنا شديدا ، ولم تجد من يواسيها أويخفف أحزانها ويمسح دموعها ، ولم يقدر حازم مشاعرها أو يراعى ظروفها الصحية والنفسية ، بل كان كثير التغيب عن البيت والسهر إلى فترات متاخرة من الليل تاركا لها كل المسئوليات والأعباء وكأنه غير موجود . فقررت عليّه أن تواجهه وأنتهت المواجهة بمعركة ساخنة أرتفع فيها صوت حازم وزادت حدته مما أزعج سكان البيت فراحوا ينظرون من النوافذ وبعضهم خرج لاستطلاع الأمر مما أحرج عليّه فصاحت فيه وقد بلغ بها الأنفعال حدا كبيرا .

- لن أبقى هنا بعد اليوم سوف أترك لك البيت وأذهب إلى بيت أهلى .

- أذهبى كما تشائين ، الباب يفوت جمل .

- هل تظننى جماد دون حس أو شعور أم قطعة أثاث القيت بها فى بيتك دون أعتبار لكرامتى أو أحترام لحقوقى .

- هذا هو طبعى وتلك هى حياتى ، أنا رجل البيت أفعل ما أشاء وليس من حق أحد أن يحاسبنى .

- وهل من الرجولة أن تتخلى عن مسئولياتك ؟

- ألم أقل لك أننى لا أطيق النقاش والجدال . ومن لا يعجبه ذلك يتفضل برة كى يريح ويستريح .. أتفهمين .

- طبعا لا يعجبنى وسوف أضع حدا لكل هذالقد سئمت الحياة معك ويئست من إصلاحك . خرج حازم من البيت ثائرا يزمجر بينما عزمت عليّه على حسم الأمر فلم يعد فى طاقتها المزيد من الصبر ، أو القدرة على أحتمال الأذى إنتهت المواجهة وعلى أثرها أخذ أطفالها وتوجهت إلى بيت أبيها ، ما كادت تصل حتى فوجئت بأن العمدة مريض يصارع الموت فنسيت مشكلتها الخاصة وجلست إلى جواره فقد كانت ومازالت أحب بناته إليه ويأنس بالحديث معها . وبعد أيام توفى العمدة وخيم الحزن على القرية كلها . بقيت عليّه فى بيت أبيها إلى جانب أمها وأشقائها يواسى بعضهم بعضا ، جاء حازم بصحبة أهله لتقديم واجب العزاء للأسرة دون أن يسأل عن عليّه

مما زاد غضبها منه . بعد أن مرت أربعون يوما كاملة جاء حازم طالبا منها العودة إلى دارها كانت عازفة عن العودة زاهدة في لقائه ، ولكن الأهل نصحوها بالرجوع من أجل أطفالها فعادت معه ومنذ ذلك الوقت عرف الجميع بخلافاتهم وتصدع العلاقة بينهم .

-١٤-

بعد زواج عليّه بفترة قصيرة تزوجت الاختان عائشة وفاطمة وعاشتان فى القرية وكانت زيجات موفقة وقد أنجبت كلتاهما عددا من البنين والبنات ، وبعد أن عرف الأهل بما بين عليّه وحازم من خلافات بدأوا يكثفون من زياراتهم لها والسؤال عن أحوالها ومحاولة رأب الصدع وتضييق شقة الخلاف بينهما ، وخاصة الشقيقتان عائشة وفاطمة اللتان تعودتا حمل الهدايا وأصطحاب زوجيهما إلى قرية البرج لزيارةعليّه والاطمئنان عليها والتوفيق بينها وبين حازم وإصلاح ما يمكن إصلاحه من علاقات المودة والرحمة التى أفسدها الخصام . لكن الخلاف إتسع وزادت حدته ، فالعاصفة تهدأ قليلا ثم تهب من جديد وفشلت وساطات الأهل من الطرفين فى إخماد النيران المشتعلة أو تضييق هوة الشقاق وحدة الخلاف . والسبب هو التباين الشديد بين شخصيتى حازم وعليّه فهى رقيقة وديعة متسامحه مجاملة إلى أقصى حد . لذا فهى تتمتع بحب كل من يعرفها إلا حازم الذى يهوى التحكم والتسلط وإعطاء الأوامر بصوت جهورى وكأنه قائد عسكرى يلقى فرمانا على جنده وهم لا يملكون إلا السمع والطاعة ، فليس لهم حق الاعتراض أو المناقشة أو إبداء الرأى ، وإنما دورهم التنفيذ فقط . هكذا كان حال عليّه مع حازم ، فالويل كل الويل لها إذا لم تنفذ تعليماته بحرفيه تامه وبالطريقة التى يريدها ، وهى مضطرة أن تفعل ذلك إتقاء لشره فهو ثائر أبدا لا يتورع عن إحراجها أمام الضيوف والجيران فضلا عن الأهل ، مما يجرح كبريائها وينغص عليها حياتها ولكنها تتحمل وتتجمل أمام الأخرين فإذا خلت بنفسها أنهمرت دموعها الغزيرة وغرقت فى بحر من الأحزان لا تفيق منه إلا على صوت أطفالها الصغار فتكفكف دموعها وتواصل حياتها من أجلهم ، مضت سنوات عده على هذه الحال حتى نفذ صبرها أو كاد وأقترب يوم الهيد فأستأذنت زوجها فى الذهاب إلى بيت أبيها للأطمئنان على والدتها

وزيارة قبر أبيها فهذا هو العيد الاول الذى يأى بعد وفاته ولذا فهو بمثابة ذكرى للمتوفى كما تقضى تقاليد القرية ، فسمح لها وبدأت تسعد للزيارة .

- ١٥ -

حان وقت السفر ، لبس الطفلان ملابس العيد الجديدة وأرتدت هى ثوبها البنفسجى المنقط بالابيض والاسود وغطت شعرها بشال أزرق لامع ، ذلك اللون المفضل لديها الأثير إلى نفسها ، وأسدلت وشاحا رقيقا على وجهها ، ثم ركبت عربة أشبة بالحنطور يجرها حصان ، وركب الطفلان نجوى ورأفت إلى جوارها بينما ركب الخدم فى المقدمة لتوجيه الحصان وقد وضع أمامه سلة كبيرة تحوى المستلزمات الخاصة بعليّه وطفليها . الطريق بين القريتين لا يزيد عن بضعة أميال لكنه مترب غير معبد وتتخلله كثبان الرمال فتبدو المسافة شاقة طويلة والاطفال لا يكفون عن العبث طوال الرحلة فيتعمد رأفت خطف العصا من السائق ثم يسقطها على الأرض ثم يقفز لإلتقاطها بينما نجوى تصرخ خوفا عليه ، ويحاول الخادم منعه ونصحه دون جدوى ، بينما عليّه شاردة ساهمة تسترجع ما حدث لها وتجتر همومها وأحزانها . ظلت تنظر إلى الفلاحين والرعاة وهم يسوقون أغنامهم ومواشيهم ويحملون محاصيلهم من الحقول على ظهور الدواب وهم يغنون فى رحلة العودة إلى منازلهم ، لاحظت أنهم ينظرون إليها ويتهامسون ، إنهم يعرفون أن هذه العربة تقل بنت العمدة ، التى كانت يوما ما ملكة جمال قريتهم وحلم جميع شبابها ، ثم أن الذين يملكون مثل هذه العربة فى القريتين قليلون ومعروفون للجميع وهم بالقطع العمد والاعيان .بعد عدة ساعات من السير وصلت العربة ، قفز الخادم من فوقها وأنزل الطفلين ثم حمل السلة إلى الداخل ، ونزلت عليّه واستقبلت بترحاب كبير خصوصا من الأم التى كانت شديدة الاحتفاء بابنتها وأطفالها والحنو عليهم تقديرا لظروفهم ، وفى الصباح الباكر تجمع رجال العائلة فى المندرة- بعد صلاة العيد - لاستقبال الضيوف من أهل القرية الذين يمرون افواجا على البيوت التى تستقبل أول عيد بعد وفاة أحد أفرادها . بينما خرجت النساء لزيارة قبر العمدة وتوزيع الصدقات وقراءة الفاتحة مرت الأيام سريعاً وعليه تأنس بالحديث مع شقيقاتها وصديقاتها ونساء القرية اللائى ياتين لزيارتها وتستعيد معهن ذكريات طفولتها وصباها فى هذا البيت الكبير ، وبدأت تشعر بالسعادة والدفء اللذين افتقدتهما فى بيت حازم الذى لا يعرف المودة والحنان ، تصادف أن وضعت زوجة أخيها مولودها الأول الذى جاء بعد إنتظار

طويل وفرحت بقدومه القرية كلها فقررت أن تمد فترة بقائها فى بيت أبيها طالما وجدت مبررا للبقاء فأستغلت الفرصة ، فلم تكن ترغب فى العودة من داخلها وإن لم تصرح بذلك . ذات مرة دخلت حجرتها التى كانت مخصصة لها قبل الزواج وأغلقت الباب خلفها ، راحت تتأمل كل ما فى الغرفة ، الفراش الأثاث ، السقف ، الجدران ، النوافذ ،ة شعرت بحنين جارف يشدها لكل ما حولها ، توقفت عيناها على صورتها المعلقة على الحائط داخل أطار زجاجى رقيق ، رنت فى أهتمام إلى ملامح الصورة تتفحصها ، كانت تبدو مثل فينوس أو الجيوكندة ملامح ملائكية وعينان تظللهما الأهداب الساحرة وتشع منهما البراءة والجازبية معا تركت الصورة ونظرت فى المرآه وهالها الشحوب الذى يكسو بشرتها ، فركت عينيها ثم عاودت النظر إلى الصورة تتفحصها من جديد وهى تتساءل فى أسى وحزن – أين ذهبت تلك الحيوية المتدفقة والشباب والنضر وتلك الضفائر الحريرية التى تحيط بوجهها وتتناثر على كتفيها ؟!!
تنقلت عيناها بين الصورة والمرآه وبين سريرها ودولابها وهى تحدث نفسها .
- هاهنا عشت أجمل أيام حياتى وحلمت أحلامى الوردية واستذكرت دروسى وخبأت حاجاتى وتشاجرت مع أخوتى ثم تصالحنا وتصافينا هاهنا تسامرنا ولعبنا وضحكنا ، آه ما أبعد هذه الحياة عما أنا فيه الآن . جلست على حافة السرير وأمسكت رأسها بيدها وهى تتنهد قائلة :
- لقد كان إحساسى صادقا عندما تنبأت بأن هذه الزيجة لن تكون موفقة ، لقد تمت خطبتى فى يوم عاصف لم تطلع له شمس ، وتأجل العرس بسبب حادث مأساوى عكر صفو القرية كلها وخلف أحقادا وثارات بين عائلتين بعد أن قتل أحد الشباب واصيب الآخر . آه كل ذلك كان من سوء الطالع . ليت أهلى أستمعوا لصوت مشاعرى ، ليت هذا الزواج التعس لم يتم ، ولكن ماذا يفيد التمنى ، إنه تمنى المستحيل .

-١٦-

لاحظت السيدة غياب ابنتها فشعرت بالقلق عليها فطرقت باب الغرفة ودخلت ، جلست إلى جوارها وادارت معها حوارا عن أحوالها .
- - لماذا أنت شاحبة ذابلة حزينة دائما .
-لا شيئ يا أمى هذا هو نصيبى فى الحياة .
-هل أنت مريضة ؟ أخبرينى بما تعانين

ما أعانيه يا أمى يفوق مرارة المرض بكثير . ثم كانت القنبلة التى القت بها الأم فى وجه عليّه فانفجرت وتطايرت شظاياها حتى أصابت كيان عليّه كله ، لقد تزوج حازم من سيدة آخرى منذ شهور كانت له علاقة بها قبل الزواج بعليّه ، شعرت عليّه بالمرارة فى فمها وجف ريقها وتجمدت أطرافها من هول الصدمة التى لم تكن تتوقعها ، لحظات من الصمت والذهول مرت كأنها الدهر ، ثم أنهمرت دموعها وأنخرطت فى بكاء متواصل ، ضمتها الأم إلى صدرها فى محاولة لتهدئتها . أستردت عليّه أنفاسها وبدأت تفسر غيابه المتكرر عن البيت وتقتيره عليها فى المصروفات ثم موافقته السريعة على مجيئها إلى بيت أبيها دون معارضة وطول إقامتهادون تذمر ولم تكن يسمح بذلك من قبل إلا بعد إلحاح وتوسل وربما تدخل أهلة للحصول على موافقته ، ويكون ذلك فى المناسبات فقط . الجميع يعرفون خبر زواجه لكنهم تعمدوا إخفاء الحقيقة حرصا على مشاعرها وإشفاقا عليها من الصدمة ، هى الوحيدة الى لا تعلم وكأن أحزانها حجبت الرؤية عن عينيها . نصحتها الأم بالاستغفار وقراءة القران والتشهد كى تهدأ نفسها وتسكن آلامها . تظاهرت بالتماسك وقررت عدم العودة إلى بيت الزوجية بعد هذه الصدمة التى أضيفت إلى صدماتها السابقة و لقد نفد صبرها وللصبر حدود ، فعلام تبقى عليه بعد ما حدث ؟ إن فعلته تلك هى القشة التى قصمت ظهر البعير كما يقول المثل . مرت الأيام وعرف حازم أن عليّه وأهلها قد علموا بخبر زواجه فلم يجرؤ على الذهاب إليها وأرسل بعض أقاربه لاسترضائها وأصتحابها مع طفليها إلى بيتها . عاد الأهل وهم يأسفون ترفض عليّه العودة معهم رفضا باتا .

-١٧-

بداءت الخلافات تظهر بين حازم والزوجة الجديدة وتتطور بشكل سريع وسافر ، فهذه المرآه لا تملك صبر عليّه وحكمتها وطيبتها وتسامحها ، فصارت تبادله غضب بغضب وثورة بثورة وصار صوتها دائما يعلو على صوته ، كما أرهقته ماليا وقررت إستنزاف ثروته مما زاد من حدة الشجار ، وكلما تدخل الأهل والجيران نالهم قدر من اللوم والسباب من هذه المرآه سليطة اللسان ، بذيئة الالفاظ ، سيئة الخلق . مما أسقط هيبة حازم وبدأ الجميع ينفرون منه ويبتعدون عنه ، ويقارنون بينها وبين عليّه وكأنهم يقارنون بين شيطان رجيم وملاك رحيم . لم يعد سراً غضب عليّه وإصرارها على الطلاق ولم يعد سرا زواج حازم من هذه السيدة الشريرة

لقد أنتشرت الأخبار فى القريتين وأصبحت قصصا ومادة للحديث بين الناس كبارا وصغارا وكل منهم يفسر الامور بطريقته . وأعتاد البعض من المترددين على بيت العمدة نقل ما يصل إلى اسماعهم إلى عليّه مضيفا إليه رأيه الخاص وتصوراته ، وكان قصة حازم وعليّه هى قضية العالم كله وقد فرغ من القضايا ، ولم تبق سوى هذه القضية الشائكة .

-١٨-

وضعت الحرب العالمية أوزارها وكاد القرن العشرون أن ينتصف وانعكست ظروف الحرب المأساوية على المجتمع المصري دون أن يكون طرفاً في هذه الحرب او صاحب مصلحة في دخولها ولكن الاحتلال الإنجليزي دفع به دفعا إليها مع وعود كاذبة بالجلاء والإستقلال ، ورغم إستغلال أراضي مصر وموانيها وكل مقدراتها لصالح الحرب لم يفي المحتل بوعوده للمصرين الذين عانوا كذيرا من جراء هذه الحرب .ودفعوا ثمنا باهظا من ارواحهم وأموالهم وإستغلال مواردهم في هذه الحرب .ثم ترك أثرا سيئا عانى منه المصريون كثيرا .

أنتشرت الحمى فى الريف المصرى وكان أكثر ضحاياها من الأطفال وحصدت أرواح الألاف من القرية والقرى المجاورة ، والريف أنذاك محروم من الرعاية الطبية ، كما هو محروم من غيرها ، ولا توجد تطعيمات أو حتى أسعافات أولية سريعة ، ومن أراد الذهاب لأقرب مدينه للعلاج فعليه أن يركب حمارا أو عربة يجرها حصان – وهى غير متاحة إلا للأعيان – أو يسير على قدميه لمدة ساعة على الاقل حتى يصل إلى الطريق الرئيسى وينتظر عدة ساعات حتى تأتى للمكان أى وسيلة مواصلات بدون مواعيد محددة ، وهى فى الغالب أتوبيسات صغيرة تعمل بالجاز قديمه متهالكة مخلعه الأبواب والفلاحون يطلقون عليها إسم – أحلاهم – سخرية وتهكما – ومن يجد كرسيا يجلس عليه فى عربة أحلاهم فهو محظوظ حقا حيث أن القاعدة أن يحشر الركاب وقوفا بما يفوق طاقة العربة ، وعند مدخل المدينة وقبل الوصول لأول نقطة مرور وتصادف السائق ينزل معظم الركاب ويسيرون على أقدامهم ، وينتظرهم السائق فى مكان معين معروف لديهم . الأمر إذن شاق جدا على المرضى ، وأطباء المدينة يرفضون الحضور لهذه القرى النائية الواقعة فى حضن الجبل ، البعيدة عن الطريق الرئيسى للمواصلات إلا فيما ندر وفى حالات خاصة جدا . أصيبت الطفلة نجوى أبنه عليّه ، وفشلت محاولات الجدة وطرقها البدائية فى علاجها أو تخفيف آلامها ، حملت عليّه طفلتها ورافقها شقيقها

إلى طبيب المدينة ، وبعد يوم حافل بالمتاعب وسفر شاق ، أعطاها الطبيب بعض الأدوية ولم يخف عليها أن الحالة سيئة وحذرها من العدوى فهذه الحمى خطرها على الكبار أشد، ولم يعرف لها حتى الآن علاج ، فكل الأدوية المتاحة مسكنات ومطهرات معوية ليس أكثر. بيد أن عليّه نسيت تحذيرات الطبيب وعكفت على تمريض الطفلة والسهر على رعايتها فالتقطت العدوى من الطفلة التى لا تفارق حضنها تقريبا وساءت حالة الأثنين ، مما دعا السيدة أم أمين إلى عزل الطفل رأفت عن أمه وأخته خوفا عليه من العدوى . لم تستجب الحالتان للعلاج وسارت الامور من سيئ إلى أسوء ، وبات شبح الموت يحوم فى الغرفة التى ترقد فيها عليّه وأبنتها .

-١٩-

علم حازم بمرض زوجته وابنته ، فقرر الذهاب إليهم للسؤال عن عليّه وأطفالهما بعد إهماله لهم لفترة طويلة مما دعا أهلة إلى توجيه اللوم والعتاب إليه. عندما وصل جلس فى المندرة واستقبله أخوها وأمها وبعد عتاب طويل ولوم شديد من جانبهما واعتذار أشد من جانب حازم سمحت له السيدة برؤية عليّه وابنتها فدخل إلى حجرتها لمقابلتها واسترضائها وقد أشتد بها المرض ، كانت ممددة جامدة النظرات ، تكاد أنفاسها أن تختنق ، وعندما أقترب منها أشاحت عنه بوجهها ، فوقف ينظر إليها وإلى نجوى التى ترقد بجوارها بلا حراك كالزهرة الذابلة ، أنهمرت دموعه وخرج حزينا مهموما ، وتوسل إلى السيدة أن تسمح له بصحبة الطفل رأفت خشية أن يصاب بالعدوى ، فوافقت السيدة حرصا على الطفل ، فعاد إلى قريته ومعه صغيره . إلتف الأهل حوله يسألون عن عليّه وطفلتها وعندما علموابسوء حالتهما أكثروا من لومه وعتابه ثم إنصرفوا وهم غاضبون منه ساخطون عليه . راح يطوف بأركان البيت ويتذكر عليّه وتضحياتها من أجله وإخلاصها فى خدمته وحبها لأهله وصبرها عليه وتسامحها وتواضعها مع الجميع . أستيقظ ضميره فجاءه وأفاق من غفلته وانتبه على صوت زوجته الشرسة التى لا تكف عن الصياح والثرثرة فيما لا يفيد فضلا عن أفتعالها المشكلات وإرهاقها له بمطالبها الكثيرة ، فهى لا تعرف القناعة قط إضافة إلى سوء فعالها مما جعل الأهل والجيران يبغضونها بل ويتحاشون التعامل معها بأى شكل حتى أصبح حازم منبوذا بسببها من الأهل والجيران ، فلم يعد له أصدقاء يزورونه أو يسألون عنه كرها فى هذه

المرأة ، بعد أن كان بيته عامرا بالناس من الأهل والجيران والأصدقاء حين كانت تسكنه عليّه الآن أصبح غريبا وهو بين أهله وعشيرته لا أحد يهتم بأمره حتى أخوته وخاصة بعد وفاة أمه التى كان من الممكن أن تقرب بينهم .

-٢٠-

أنسحب وبيده طفله إلى غرفة عليّه ، جلس حزينا مهموما كاسف البال وأجلس رأفت إلى جواره ،وراح يحوطه بذراعه ويقبل رأسه فالشعور بالذنب يكاد يقتله ، شعر بالوخز فى صدره والضيق فى نفسه ظل ينظر ويطيل النظرإلى الأشياء من حوله ، وكلها تشير إلى عليّه وتذكر بها ، فما زالت بقاياها فى كل ركن وطيفها يتراءى له فى كل أتجاه ، وصدى حديثها يرن فى أذنيه ، وعبيرها يعطر المكان ، الذى أستحال أنسه إلى وحشه وكآبه . توالت الذكريات تتلاحم وتتزاحم وتتلاطم وهو غارق فى بحر من الشجون يحدث نفسه
- أن زواجى بهذه الشريرة هو عقاب من السماء نعم أنه عقاب شديد دبرته العدالة الإلهية إنتقاما منى ، جزاء وفاقا على ما أقترفته من ذنوب فى حق عليّه تلك الزوجة الطيبة الصالحة التى لم أعرف قدرها وقابلت إحساسها بالإساءة ونكران الجميل . آه كم كنت ظالما لها ولنفسى ، والآن أدفع الثمن غاليا كما كان الخطأ شنيعا والخسارة فادحة ، هكذا دارت الأفكار فى رأسه بعد أن استعاد ذكريات حياته مع عليّه منذ أن عرفها حتى خروجها من بيته كسيرة القلب شاحبة اللون دامعة العينين ، فقرر التكفير عن ذنبه . عقد العزم على الذهاب فورا إلى العلوية لإسترضاء عليّه وأصطحابها هى وأبنتها إلى أكبر أطباء العاصمة لعلاجها ولو كلفة ذلك بيع كل ما يملك ، فقد سمع عن قدوم طبيب أجنبى متخصص فى فحص الحالات لتجريب دواء جديد فربما تتماثلان للشفاء فيعود بهما إلى بيته كى يبدء الحياة معهم من جديد ويعوضهم عما سبق من تقصير فى حقهم ، علهم يستعيدون سعادتهم المفقودة التى ضيعها هو بجهله وعناده وسوء تصرفه .

-٢١-

راقت له الفكرة فركب حصانه وأمامه صغيره وسار متجها إلى العلوية ، راح يحث حصانه على الجرى بأقصى ما يمكن وقطع المسافة بين القريتين فى نصف الوقت المعتاد ومع ذلك كان يشعر أن الوقت يمر بطيئا ثقيلا وكأنه شهور طويلة ، ما كاد يقترب من ناصية الشارع حتى ترجل عن حصانه وأمسك طفله بيده ومضى إلى بيت العمدة ، وفجأه تسمرت قدماه وأوشك على السقوط إذ رأى الفناء المؤدى إلى البيت مزدحما بالرجال والنساء وهم يبكون وينتحبون ، استجمع قواه وحمل صغيره وأندفع مخترقا صفوف المولولات إلى أن وصل إلى غرفة عليّه حيث ترقد هى وأبنتها وقد فاضت روحهما إلى بارئها فى إنتظار الأنتهاء من الإنتهاء مراسم الدفن . أنكفأ على الجسد المسجى كى يودعه الوداع الأخير وإنهمرت دموعه بغزاره حتى بللت الفراش الذى يغطى الحبيبة الراحلة ، أزاح الغطاء عن وجهها الذى بدأ طفوليا ملائكيا وراح يقبلها وهو يردد. سامحينى أيتها الحبيبة الطيبة ، أعاد الغطاء إلى وجهها مرة أخرى ونظر إلى أبنته وزاد بكاءه حدة ولوعه إلى أن تتدخل شقيق عليّه وحمله خارج الغرفة وهو يهذى لقد فات الآوان لم يعد بلإمكانى فعل شيئ ، آه ما جدوى الندم بعد فوات الآوآن . إنتهت مراسم الدفن وشيعت الجنازة إلى مثواها الأخير ، علم أهله بنبأ الوفاة فحضروا لتقديم واجب العزاء وبعد أن تقبل العزاء وإنتهى المأتم عاد إلى بيته حزينا كئيبا يحمل طفله الصغير رأفت ذلك الأثر الوحيد الباقى من عليّه تلك الشمس التى غربت عن حياته إلى الأبد غير أنها أبت أن تمضى دون أن تترك شعاعا من أشعتها حيّا نابضا لينير له بعضا من ظلمة حياته .

أنتهت (تمت)...

سيرة ذاتية
للشاعرة / نوال مهنى

الاسم الكامل / نوال مهنى احمد ابو زيد شاعرة مصرية من محافظة المنيا .

المؤهل العلمي / ليسانس آداب ـ قسم الفلسفة وعلم النفس ز

العنوان البريدي / مصر ـ الجيزة ـ الهرم ـ ٢٨ مساكن الضباط ش زكريا الحجاوي (امام مبنى محافظة الجيزة) .

هاتف / ٠١٢٣٣٨٤٣٢٨ ـ ٣٧٨٠٥٦٣٠

العمل / عملت مدرسة للفلسفة ـ وعلم النفس بالمدراس الثانوية ومشرفة على الصحافة المدرسية بوزارة التربية والتعليم المصرية ثم معدة برامج من الخارج بالاذاعة والتليفزيون المصري وهي معتمدة في جميع الاذاعات المصرية .

كما ان دواوينها مختارة ومعتمدة كشاعرة في قوائم مكتبات وزارة التربية والتعليم المصرية للمدارس الثانوية وتنشر ابداعها في معظم صحف ومجلات العالم العربي .

كرمت الشاعرة من جهات عديدة وحصلت على جائزة تفوق من الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠٠٢ ودرع النعيم من منتدى اثينينة النعليم الثقافية بالاحساء عام ٢٠٠٢ بالاضافة الى العشرات من شهادات التقدير من الجامعات والروابط الادبية واقيمت عشرات الندوات لمناقشة اعمالها وكتبت عنها دراسات نقدية من ادباء ونقاد متخصصين كما صدر عنها كتاب (شاعرة من مصر) اعداد : احمد علي حسن صاحب ومدير مكتبة

الاداب للنشر والتوزيع ويضم مجموعة من الاشعار والمقالات والدراسات لنخبة من ادباء ونقاد العالم العربي عن ابداعاتها .كما تقدمت عنها رسالة دكتوراه بعنوان (التواصل الشعري عند الشاعرة نوال مهنى) تقدمت بها الباحثة / شاهيناز ابو ضيف بجامعة الازهر - فرع اسيوط .
والشاعرة نوال مهنى :-

١- رئيسة الادبيات برابطة الادب الاسلامي العالمية عن فرع الرابطة بمصر .
٢- عضو اتحاد كتاب مصر .
٣- عضو في دار الادباء مصر .
٤- عضو جماعة الادب العربي بالاسكندرية .
٥- مقررة لجنة الادب بجمعية محبي الفنون والاداب بالمنيا .
٦- عضو نادي الادب بقصر ثقافة المنيا .
٧- عضو جماعة شعراء العروبة - القاهرة .
٨- عضو رابطة الادب الحديث - القاهرة .
٩- عضو جماعة الوسيطة - بالقاهرة .
١٠- عضو ملتقى المبدعات العربيات - القاهرة .
١١- عضو ملتقى الاربعاء وجماعة الفكر المعاصر بنقابة الصحافين المصرية - القاهرة .

لقبت الشاعرة / بشاعرة الصعيد - شاعرة الوادي
انتاجها الادبي :

١- دواوين شعرية - نبع الوجدان + اغاريج الربيع + ذات مرة + فيض الاشجان خاصة للطفل + اغاني للطفولة + اناشيد الطفولة .
٢- مسرحيات شعرية - الفارس والامير + الجميلة والعراف .
٣- ازجال بالعامية المصرية - ديوان موال من بلدي + سلسلة حذر فزر (فوازير ثقافية للطفل خمسة اجزاء) .
٤- مؤلفات نثرية - كتاب اوراق شاعرة - جزء أول سلسة اصل الحكاية خمسة اجزاء + سلسة رحلات بن بطوطة ثمانية اجزاء + شمس غاربة - رواية ثائرة + الصومعة - قصص قصيرة (مؤلفات قيد الطبع - ديوان - انغام ثائرة + ديوان اهازكيج الطفولة - + الجزء الثاني من كتاب اوراق شاعرة .